فقد كان يتربص المخرج فحصل على أسلم مورد له تحت حفاظ الرسول ﷺ من الله، ولكن الإمام بات على فراشه تحملاً لما كان يحمل عليه ﷺ ثم ظل خليفة عنه ﷺ في أداء ديونه، وحراسة أهله، وتهيئة الجو لهجرته معهم بسائر المهاجرين، ومن الطبيعي أن تزداد المضايقات على المؤمنين بغياب صاحب الدعوة، ولا سيما على الذي خلّفه خلفه، نوماً على فراشه، ويقظة الحفاظ على أهله وسائر المؤمنين.

ذلك، ولو لا ذلك المبيت، فاعتقاد المشركين أن البائت هو الرسول ﷺ نفسه، لما صبروا عن طلبه إلى النهار أم لوقت متأخر من الليل حتى وصل ﷺ إلى الغار، فكانت سلامة صاحب الرسالة مضمونة بذلك المبيت المبيّت بوحي الله إضافة إلى سائر الضمان بأمر الله وكما قال الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1]!.

فقد وجد صاحبه في الغار موقفاً أميناً متيناً للهجرة بمهجر النبي ﷺ فتراه، بعد دخل الغار حفاظاً عليه ﷺ وقد صمم مراراً أن يتركه بين أعداءه ويهاجر قبله إلى المدينة؟! ذلك موقف متّهم!.

= فوجدوا أمير المؤمنين ﷺ مضطجعاً فيه فضربوا بأيديهم إليه وقالوا: يا ابن أبي كبشة لم ينفعك سحرك ولا كهانتك ولا خدمة الجان لك، اليوم نسقي أسلحتنا من دمك، فنفض أمير المؤمنين عليه السلام أيديهم عنه فكأنهم لم يصلوا إليه وجلس في الفراش وقال ما بالكم يا مشركي قريش أنا علي بن أبي طالب، قالوا له: واين محمد يا علي؟ قال: حيث يشاء الله، قالوا: ومن ففي الدار؟ قال: خديجة، قالوا: الجبية الكريمة لولا تبعلها بمحمد يا علي وحق اللات والعزى ولولا حرمة أبيك أبي طالب وعظم محله في قريش لا علمنا أسيافنا فيك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا مشركي قريش أعجبتكم كثرتكم وفالق الحب وبارئ النسمة ما يكون إلا ما يريد الله ولو شئت أن أفني جمعكم كنتم أهون على من فراش السراج، فلا شيء أضعف منه، فتضاحك القوم المشركون وقال بعضهم لبعض: خلوا علياً لحرمة أبيه واقصدوا الطلب لمحمد رسول الله في الغار وجبرئيل وأبو بكر معه فحزن رسول الله ﷺ على علي وخديجة...

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

وعلى أية حال لم نحصل لصاحب الغار في مصاحبته ﷺ في الغار أي افتخار إن لم نحصل له على عار، إنما هو حتى الآن أول اثنين في الغار يصاحبه ﷺ للهجرة.

وهنا ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ نصرة ثانية له ﷺ حيث العناكب عملت ستراً ضخماً على باب الغار خمن المفتشون عنه عند الباب انه شغل سنين.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ - ﴿نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ... إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ...﴾ فهنا النصرة الربانية الثالثة للرسول لائحة من قوله لصاحبه ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فبدلا أن يقول له صاحبه لا تحزن حيث هو المدار للفرار عن بأس المشركين، فحزنا على نواجم الخطر، يطمأن الله قلب الرسول ﷺ ربطاً عليه لحد يقول هو الأصيل في الحزن للبديل فيه الفصيل: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فهذه نصرة ثالثة لـ ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾ تقابلها نكسة لأول اثنين، حيث حزن ببوادره وظواهره لحد قد يخشى على ظهور الأمر للمشركين المتحرين عنه.

وهنا صاحبه في الغار يحزن هكذا تلهباً وتقلباً لحد ينهاه النبي ﷺ - وهو نهي عن نكير منكر - رغم أن هذا الخروج ضمن من خوارق العادات ما تبهر العقول، وتطمئن أصحاب العقول، فقد خرج على عيون الأشهاد وما رأوه، وفور دخوله الغار معه نسجت العنكبوت على باب الغار ستراً نهّاه المشركون إلى سنين[1]، وهما نصرتان أوليان، أفبعد ذلك يبقى خوف منهم

(١) الدر المنثور ٣: ٢٤٠ - أخرج ابن سعد عن ابن عباس وعلي وعائشة بنت أبي بكر وعائشة بنت قدامة وسراقة بنت جعشم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: خرج رسول الله ﷺ والقوم جلوس على بابه فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يدرها على رؤوسهم ويتلوا: يس والقرآن الحكيم - الآيات ومضى، فقال لهم قائل: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً، قال: والله مر بكم، قالوا: والله ما أبصرناه وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم وخرج رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى غار ثور فدخلاه وضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض وطلبته=

وحزن ولا سيما لأبي بكر وهو غير ملاحق في ذلك المسرح، ثم الملاحق الأصيل لا يحزن، بل وينهى صاحبه عن الحزن معلّلاً بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

= قريش أشد الطلب حتى انتهت إلى باب الغار فقال بعضهم أن عليه لعنكبوتا قبل ميلاد محمد، وأخرجه أبو نعيم عن محمد بن إبراهيم التيمي أن النبي ﷺ . . . وفي بحار الأنوار ١٩: ٣٣، لما دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر الغار أرسل الله زوجاً من الحمام حتى باضا في أسفل الثقب والعنكبوت حتى نسج بيتاً فلما جاء سراقة بن مالك في طلبهما فرأى بيض الحمام وبيت العنكبوت قال: لو دخله أحد لانكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرف وقال النبي ﷺ: اللّهم أعم أبصارهم فعميت أبصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار وقال أبو بكر: لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا . . .

وفي تفسير البرهان ٢: ١٢٥ ذكر الطبرسي في أعلام الورى في حديث سراقة بن جعشم مع النبي ﷺ قال: الذي اشتهر في العرب يتقاولون فيه الاشعار ويتفاوضونه في الديار انه تبعه وهو متوجه إلى المدينة فساخت قوائم فرسه حتى تغيبت قوائم فرسه وهو بموضع حدب وقاع صصف فعلم أن الذي أصابه أمر سماوي فنادي يا محمد أدع ربك يطلق لي فرسي وذمة الله أن لا أدل عليك أحداً فدعا له فوثب جواده كأنه أفلت من انشوطة وكان رجلاً داهية وعلم بما رأى أنه سيكون له نباء فقال: اكتب لي أماناً فكتب له وانصرف، قال محمد بن إسحاق: أن أبا جهل قال في أمر سراقة أبياتاً فأجابه سراقة نظماً:

أبا حكم واللات لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي أن تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمداً ... نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه
عليك فكف الناس عني فإنني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه

أقول: وقصة سراقة مروية بعدة طرق ومنها ما في الدر المنثور من حديث أبي بكر في اتجاهه مع رسول الله ﷺ إلى الغار: فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا منهم إلا سراقة على فرس له فقلت يا رسول الله ﷺ: هذا الطلب قد لحقنا فقال: لا تحزن أن الله معنا حتى إذا دنا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة فقلت يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت، قال: لم تبكي؟

قلت: أما والله لا أبكي على نفسي ولكني أبكي عليك فدعا رسول الله ﷺ وقال: اللّهم أكفناه بما شئت فساخت فرسه إلى بطنها في أرض صلد ووثب عنها وقال: يا محمد إن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فانك ستمر بابلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله ﷺ لا حاجة لي فيها ودعا رسول الله ﷺ فأطلق ورجع إلى أصحابه ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة . . .

معية الحفاظ على الرسول ﷺ أصالة، والحفاظ على صاحبه في الغار على هامشه حيث الخطر الناجم هو عليهما - إذاً - [١].

وليس هذا النهي متعطفاً - فقط - عليه ﷺ كما يقول الله ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إنما هو الحزن الخطر عليه ﷺ ولذلك عدّ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ من نصرته الربانية، فلقد كان حزنه لحد قد يشكل عليه ﷺ خطراً فنصره الله أن نهى صاحبه عن الحزن وقاية عما قد يحصل من ملاحقة بضجة وصرخة من صاحبه. وهنا نقف حائرين من ذلك الحزن الحزين، فإن كان لنفسه أم للرسول أم لهما فغير محبور، حيث الحزن على الخطر الذي ضمن الله أنه لن يكون عدم إيمان واطمئنان بالله الذي ضمن الحفاظ على حياته بتلك الهجرة الخارقة للعادة، ولكنه لم يكن حزناً - فقط - في قلبه، بل هو ظاهر جاهر بصرخة حيث تسمع فيشكّل خطراً على حياة الرسول ﷺ ولولاه لم يكن في قوله لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ نصرة له ثالثة، فهل إن ترك حزن قلبي - فقط - لصاحبه نصرة له ﷺ غالية؟ كلا بل هو الحزن الحزين ببادئ صراخ يسمع المفتشين عنه ﷺ الملاحقين إياه، ففي نهيه عن حزنه وطمأنته: إن الله معنا، وإن الله قلب قلبه بذلك، نصرة ربانية ثالثة حفاظاً على حياته ﷺ بالفعل، ثم ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ نتيجة هذه المراحل الثلاث من نصرته، كما وأن الثلاث الأخرى من مخلفات النصرة الأصلية وهي إنزال السكينة عليه ﷺ.

ثم كما أن «صاحبه» لا تصاحب صحبة الخليفة للنبي ﷺ من الناحية

---

(١) ومن حزنه ما رأه كما رواه في الدر المنثور ٣: ٢٤٠ أخرج أبو نعيم عن السماء بنت أبي بكر أن أبا بكر رأى رجلاً مواجه الغار قال يا رسول الله ﷺ انه لرآنا، قال ﷺ: كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها فلم ينشب الرجل أن قعد يبول مستقبلهما فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا.

الروحية، كذلك «معنا» لا تعني مساوات المعية بينهما، فإنما هي معية في دفع الخطر الناجم، أصالة للنبي ﷺ وعلى هامشه لزاماً للحفاظ عليه صاحبه في الغار، فهي - إذاً - معية الحفاظ لصاحب الرسالة.

وأما «صاحبه» فهل تعني له منقبة متميزة على سائر أصحاب الرسول ﷺ فكأن غيره لم يكونوا من صحبه، إنما هو «صاحبه» قضية إفراد النسبة المضافة إليه.

إن لـ «صاحبه» مسارح عدة تختلف في مغزاها، فـ «صاحبه» في السفر، غير «صاحبه» في التجارة، وغيرهما في الدراسة، وغيرها في المعرفة، وغيرها في الإيمان، حيث تختلف ملابسات تحمل معها فتختلف الصحابات.

وهنا «صاحبه» في الغار ليس إلّا من صاحبه فيه - دون استئذان منه أو طلبه ﷺ - ودون سائر المواقف المشرفة، فترى - إذاً - «صاحبه» في الغار، هو صاحبه بين كل صحبه في كل الميزات للصحبة الروحية الرسالية؟ هنا لو لم تدل «يقول» ما كنا نعرف أن صاحبه في الغار كان إنساناً، حيث يصاحب الإنسان غير الإنسان من ملابس وحيوان، ومن معاكسه ﴿كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[1] أم أياً كان من صاحب يصحب جسمه دون روحه.

فلقد تعرفنا أن «صاحبه» إنسان لمكان «يقول» فمن أين نعرف أنه صاحبه في الفضائل الروحية بين الأصحاب، وتلك الصحبة ليست لتثبت له أصل الإيمان فضلاً عما علاه من صالح الإيمان فضلاً عن أصلحه، وقد يدل: ﴿لَا تَحْزَنْ - و - فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ على طالح الإيمان.

فحين نسمع الله يقول في الكهف ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى

(١) سورة القلم، الآية: ٤٨.

خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾[١] [٢] فهلّا يخيل إلينا أن «صاحبه في الغار»[٣] ما كان يصاحبه إلا كما صاحب المشرك المؤمن في آية الكهف، وتعاكسها آية الأعراف ونظائرها: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[٤] [٥].

فهل إن «صاحبه» في الكهف تجعل المشرك مؤمناً بمجرد الصحابة؟ أم إن «صاحبهم» في الأعراف وسواها تجعل الرسول ﷺ مشركاً؟.

فمجرد الصحبة بين اثنين لا يحشرهما في محشر واحد ومعشر فارد من الإيمان أو الكفر أم أياً كان من المشتركات، فإنما القدر البين هو الصحابة في الجوار بدنياً أم في الشغل، ثم الصحبة الروحية هي بحاجة إلى برهان، في كفر أو إيمان أم أياً كان[٦] ثم ولا نجد في القرآن كله يعبر عن صحابة الإيمان بين المؤمنين بصاحب أو أصحاب اللّهم إلا ك ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٧] حيث تعني المعية في حمل هذه الرسالة السامية على هامش الرسول ﷺ فلا يصاحب صيغة الصاحب أية منقبة ولا مزرءة، إلا بما يصاحب الصاحب من صاحبه من منقبة أو مزرءة، وكل منهما بحاجة إلى دليل.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٧.

(٢) كـ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النّجم: ٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التّكوير: ٢٢] و﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبإ: ٤٦] و﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥] و﴿حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١] حيث تعني مصاحبة المؤمن الكافر، النبي مع المشركين، والولد المؤمن مع الوالدين المشركين، أو أي مؤمن مع أي كافر.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٤.

(٥) مرّ تخريجها في الحاشية رقم (٢).

(٦) فمثال الكفر ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩].

(٧) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

ولكننا هنا نطلق كما أطلق الله تلك الصحبة في البداية، فحتى نعرف من حكاية الصحبة ما هي منزلة تلك الصحبة؟.

ليس هنا في دور الإيضاح إلّا ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ لأول اثنين هما ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾ وقد عرفنا موقفها أن ليست - لأقل تقدير - امتداحاً له، إن لم يكن مزرءة عليه وهو مزرءة! فلنفرض أنه ساكت عن أية سلبية أو إيجابية، ولكن تعال معنا إلى الدور الثاني ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ وهي كحصيلة لتلك النصرة المتميزة الربانية للرسول ﷺ، فقد ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ إذ نصره في هذه الثلاث بما هو نصر الله في رسالته ودعوته وكل مواقفه السلبية والإيجابية لصالح هذه الرسالة، فـ ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1] وهنا التفريع ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ...﴾ لا يفسح أي مجال لغير صاحب النصرة الربانية في هذه الثلاث.

وترى بعد أن «عليه» تعني في رجعة يتيمة «صاحبه» دون نفسه ﷺ؟ وهذه مزرءة للرسول ﷺ أن يحرم عن السكينة الخاصة به أولاً، ويختص بها صاحبه في الغار!.

وهنا، كون الرسول ﷺ محور النصرة الربانية، والسكينة هي محور لتلك النصرة، والضمائر الثمانية - هي بطبيعة الحال - راجعة إليه، هذه وما أشبه أدلة قاطعة لا مرد لها أنه ﷺ هو صاحب السكينة هنا دون صاحبه.

و﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾ هي ثالثة النصرة له ﷺ، ثم ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ هي رابعة مفرعة على هذه التي مضت، منتوجة أصيلة لها كلها ثم و﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ خامسة و﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ سادسة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ هي السابعة، وهذه الثلاثة الأخيرة هي من مخلقات السكينة، وهذه السبعة من

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

زوايا ﴿نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ هي التي تشكل هندسة النصرة الربانية المنقطعة النظير لهذا البشير النذير فلو اختصت السكينة بصاحبه في الغار لاختصت به سائر النصرة المتقدمة عليها والمتأخرة عنها!.

ثم هنا نحن بين محتملات ثلاث في ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ أنها تخص الرسول ﷺ كالستة الأخرى، والضمائر السبعة الأخرى، ولأن الرسول ﷺ هو المحور الحائرة حوله الآية بكل بنودها؟ - أم تعمهما؟ وضمير المفرد لا يتحمل الرجوع إلى اثنين، فلا موقف لذلك الاحتمال أصلاً! أم هو راجع إلى صاحبه - كما يهواه من أصحاب صاحب الغار شذر نزر لأنه المرجع الأقرب[1] - فتصبح تلك السكينة الغالية التي هي حصيلة متفرعة علي ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾ خاصة بصاحبه دونه نفسه ﷺ، وليست أقربية المرجع بمجردها صالحة لعود الضمير إليه، وهنا القرائن القطعية قائمة على أن المرجع هنا هو محور النصرة الربانية دون صاحبه ثم الأقرب ذكراً هو الرسول لمكان ﴿صَاحِبِهِۦ﴾ حيث هو المضاف إليه.

ذلك، وحتى لو اختصت به السكينة فهي هي السكينة النازلة على المؤمنين مع الرسول ﷺ فلا تدل - إذاً - على ميزة لصاحب الغار يمتاز بها على غيره من المؤمنين.

ذلك، رغم أن ذكر صاحبه لا يعني إلّا بيان ملابسة صالحة

(١) إنهم احتالوا وحاولوا نزول السكينة عليه في قالات وروايات، منها ما في الدر المنثور ٣: ٢٤٥ - أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال دخل النبي ﷺ وأبو بكر غار حراء فقال أبو بكر للنبي ﷺ لو أن أحدهم يبصر موضع قدمه لأبصرني وإياك فقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما يا أبا بكر أن الله أنزل سكينة عليك وأيدني بجنود لم تروها، ورواه مثله عن ابن عباس وأبي ثابت دون اسناد إلى النبي ﷺ.
أقول: ولأن الكاذب ينسى فقد نسي الناقل أن الغار هو غار ثور دون حراء، ثم ما هذه السكينة النازلة على أبي بكر لم تلك تسكنه عن اضطرابه؟.

لاطمئنانه ﷺ في الغار عن كل الأخطار، لحد ينهي صاحبه الحزين عن حزنه الخطير الخطير.

ولننظر ثانية إلى ذلك المقترح الهاوي أن السكينة هنا نزلت على صاحبه دون نفسه، فالنتيجة - إذاً - هي كالتالية:

﴿إِلَّا نَصُرُوهُ﴾: ١ - الرسول ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ﴾، ٢ - الرسول ﴿ٱللَّهُ﴾ ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ﴾، ٣ - «الرسول» ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾، ٤ - الرسول ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ﴾، ٥ - الرسول ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾، ٦ - ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ثم وهذه التالية هي قاعدة علياً من نصرته ﷺ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾، ٧ - صاحبه، إذا فـ ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ٨ - تعني أيضاً صاحبه، وكذلك الأمر فيما يتلوه كـ ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ المتمثلة في صاحبه دونه!.

ذلك، رغم أن مادة النصرة الربانية هنا، المعنية من ﴿نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ هي السكينة النازلة عليه ﷺ فوق سكينة تكريماً لموقفه المشرف من عدم تخوفه وحزنه وهو المدار في ذلك الفرار!.

فقد نصره الله أولاً بالعصمة الرسالية، ثم كمل نصرته بهذه السكينة عصمة على عصمته، نصرة ذات بعدين اثنين بعيدة عن كل انهزامه في حقل الدعوة الرسالية.

ذلك ومن واجهة أخرى قد تعني ﴿إِلَّا نَصُرُوهُ﴾ كافة المتثاقلين عن نصرته على مدار الزمن الرسالي، فأنتم أنتم الخاسرون دونه ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ صيانة على نفسه ورسالته القدسية ودعوته المترامية الأطراف به وبقرآنه المبين وتبيانه المتين.

ومن نصرته والمؤمنين ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1] و﴿لَقَدْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾[١] ومن أخريات هذه النصرة المتتالية المتمادية ما كان بفتح مكة ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[٢].

ومن ثم ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ حيث سفلت حيلتهم بحقه، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ حيث علت بهجرته ثم غلت بفتح العاصمة بعد ردح من هذه الهجرة الهاجرة.

ولننظر هنا إلى ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ في عرف القرآن على من تنزل كأصل، ثم من فضل الأصل على من؟.

هنا نجد حين يقرن المؤمنون بالرسول ﷺ تشملهم السكينة على هامش الرسول ﷺ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] وهم الذين ظلموا مع الرسول ﷺ وما قلوا، من هؤلاء الثمانين بين اثني عشر ألفاً أو يزيدون، فكما هنا تختص السكينة بالمؤمنين الثابتين دون المنهزمين الهابطين، علّها كذلك هنا لا تنزل على صاحبه المؤمن إذ لم يكن له ثابت الإيمان الذي يحق له إنزال السكينة، فإنما نزلت السكينة الرسالية على الرسول ﷺ على سكينته الرسولية الدائبة وهي العصمة.

فهنا للرسول سكينة يعيشها قضية العصمة الرسولية، ثم سكينة تنزل عليه مزيداً لتلك العصمة، كما للمؤمنين القلة سكينة الإيمان، العائشين معها باطمئنان، ثم تنزل عليهم السكينة ليزدادوا إيماناً على إيمانهم.

هذه سكينة مزيد العصمة على عصمته ﷺ وهي النصرة الربانية البارزة للرسول ﷺ حصيلة للمواقف الثلاثة الأولى، وهي قلب مسبّع النصرة ومن حصائلها المخلفة عنها بعد ما هي مخلفة عن الثلاثة الأولى ثلاثة أخرى هي

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٥.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٣.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٦.